

حدائق الحيوانات في التراث الاسلامي حتى القرن الثامن الهجري

تقديم

أ. م. د. د: جنان احمد عبدالعزيز السامرائي

جامعة سامراء كلية التربية قسم التاريخ

يبقى التاريخ مصدراً مهما لعلاقة الانسان بالطبيعة , التي سجل خطوات طويلة في رعايتها والحفاظ على مفرداتها , وربما تأتي حدايق الحيوانات في مطلع هذه المظاهر الحضارية, التي يعود الفضل في ابتكارها للعرب المسلمين,الذين سجل لهم التاريخ هذا السبق الحضاري في رعايتها ؛ مما يبرهن على الروح الانسانية , والرقي الحضاري لهم قبل ان تعرف لها جمعيات الرفق بالحيوانات سيلا , ولما لم تكن هناك دراسة اكاديمية مستقلة تعنى بهذه الابتكارات , وتبرز هذه المضامين الحضارية لهم , فقد آثرت اختيارها وجعلها موضوعا لدارستي ؛ لذا جاءت هذه الدراسة معنونة بـ(حدايق الحيوانات في التراث الاسلامي حتى القرن الثامن الهجري) وبعد جمع المادة العلمية قمت بتقسيمها الى ثلاثة مباحث , تناولت في المبحث الاول حقوق الحيوانات في الاسلام , وفي المبحث الثاني حدايق الحيوانات في العصرين الاموي والعباسي (١٣٢ - ٦٥٦ هـ) , بينما افردت المبحث الثالث لحدايق الحيوانات خلال الفترة (٦٥٦ - ٨٠٠ هـ) ثم اودعت الخاتمة خلاصة النتائج التي خرجت بها الدراسة,ولعلنا نكون بذلك قد ابرزنا صورة من صور اسهامات المسلمين في تقدم الحضارة الانسانية وتطويرها خلال تلك الفترة.والله الموفق

المقدمة

شكلت حدايق الحيوانات ابرز انجاز للمسلمين على مر العصور , وهي سبق حضاري يبرهن على الروح الانسانية لهذه الحضارة العظيمة , ذات الابعاد الانسانية,التي عمت رعايتها مختلف الكائنات الحية, فليست رحمتها قاصرة على البشرية دون غيرها بل جاوزتها الى الكائنات التي شاطرت البشرية الحياة وشاركتهم الارض وقاسمتهم المؤن , وهو أمر لم يبلغه منهج آخر , ولم تتطلع الى آفاقه فلسفة أخرى , ولم تعرف المنظمات الانسانية والحيوانية اليه سيلا , لاسيما في عصر لم يكن يعنى بشؤون الانسان احد فضلا عن الحيوان , فقد منح الاسلام هذه الحيوانات جملة من الحقوق , فحازت بذلك الحضارة الاسلامية قصب السبق في رعاية الحيوانات وحمايتها, وما المنشآت التي اقامها المسلمون لحمايتها في شتى انحاء البلاد في الشام والعراق ومصر والأندلس منذ العصور الاولى لحكمهم ,إلا برهان واضح على تقدم هذه الحضارة الاسلامية منذ القدم؛لذا آثرت القيام بجمع شتات هذه الظاهرة الانسانية والحضارية وإفرادها بدراسة مستقلة,فجاءت معنونة بـ(حدايق الحيوانات في التراث الاسلامي حتى القرن الثامن الهجري). وبعد جمع المادة العلمية قمت بتقسيمها على ثلاثة مباحث, تناولت في المبحث الاول حقوق الحيوانات في الاسلام , وفي المبحث الثاني حدايق الحيوانات في العصرين الاموي والعباسي(١٣٢ - ٦٥٦ هـ) بينما افردت المبحث الثالث لحدايق الحيوانات خلال الفترة(٦٥٦ - ٨٠٠ هـ) ثم اودعت الخاتمة خلاصة النتائج التي خرجت بها الدراسة , ووضعت في نهايتها فهرساً للهوامش والمصادر , ولعلنا نكون بذلك قد ابرزنا صورة من صور اسهامات المسلمين في تقدم الحضارة الانسانية وتطويرها خلال تلك الفترة,والله الموفق .

المبحث الأول : حقوق الحيوانات في الاسلام

حرص الاسلام على تنظيم العلاقة بين الانسان والحيوان , وجعلها قائمة على اساس الرحمة واللين , فقد منحها حقوقا عديدة تكفل لها حمايتها ورعايتها , وذلك كحق الحياة , والرعاية والعناية في الغذاء والدواء والراحة, والإيواء والحماية , وجودة السلالة والنسل , وربما يزخر الموروث الاسلامي بكم هائل من النصوص الدينية , التي رسمت للإنسان طريق التعامل مع هذه الحيوانات العجماء , والتي يمكن اجمالها بما يأتي :

أولاً : حق الحياة :

تمتعت هذه الحيوانات بحق الحياة , ولا يمكن لكائن ان يسلبها هذا الحق المشروع لها أو يتجاوزها , إلا وفق ضوابط وقواعد محددة في الاسلام , وأول حفظ لهذا النوع الحيواني والإنساني كان على عهد سيدنا نوح عليه السلام, وذلك قبل الطوفان ليصون اصل النسل من الفناء والهلاك^(١), فقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَوَلْنَا أَحْمِلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾^(٢). ففي هذا النص تأكيد على حمايتها ورعايتها حقوقها , فلا ينبغي لنا ان نظلمها او نعرضها للهلاك , لذا لا يحل لنا ان نتخذها غرضاً لسهام الرماة من اجل التسلية والمتعة واللعب والمسابقة حتى الموت , فقد لعن الرسول صلى الله عليه وسلم ونهى عن قتل الطير صبراً, وان يتخذ كل ما فيه الروح غرضاً^(٣). وربما كان تراث المسلمين زاخراً بالمواقف الانسانية النبيلة , التي حفظت للحيوانات حياتها مهما تناهت في الصغر , ومن هذه المواقف اللطيفة التي وردت بشأن اتخاذ الطيور للزينة وحبسها في الاقفاص, شريطة ان يحول بينها وبين البرودة والحرارة , ويتعهدوا بالطعام والشراب, ويتقدها كما يتقده اولاده , كما بالغ الاسلام في الحفاظ على صيانة حياتها وأرواحها من العبث , وربما نلمس روح الرفق

واللين في التعامل معها حينما يناقش عظماء الاسلام حرمتها ، ومنها ما ورد بشأن الطائر الذي بلع لؤلؤة ، فكيف يمكن استخراجها منه ، وهل يحل ذبحه من اجل استخراجها ؟ حيث لم يتردد العلماء بتحريم ذبحه، حفاظاً على حياته وحرمته^(٤). كما يعد من روائع الاسلام ما اوردوه بشأن حرمتها في آداب مهنة التخصيص، التي ترى كثيراً منهم ، يجعلون في وضع الطين على الجدار ، وربما صادف ما لا يحل قتله لغير مأكلة من عصفور ونحوه ، فقتله واندمج في الطين ؛ ويكون حينئذ خائناً لله تعالى من جهة قتله لهذا الحيوان ، ولصاحب الجدار من جهة جعله مثل ذلك ضمن جداره^(٥). فهذا الشعور المتناهي في الرقة والرحمة والاهتمام بحياة الحيوان في الاسلام، لم يكن الدافع اليه المنافع المادية، بل كان الدافع له اخلاقي محض، غايته رفع الظلم والضرر والأذى عن كائن حي ذي كبد رطبة ، يشعر بالألم ويحس به ، فيتألم ولا يكاد يتكلم، مما يبرز سعة الاسلام وعظمته وعدالته واتساع دائرة الإحسان والرحمة والمسؤولية في دستورته تجاه هذه الحيوانات العجماء منذ القدم^(٦).

ثانيا : حق العناية والنفقة والمأوى:

يعد حق العناية بالحيوانات ثاني هذه الحقوق المشروعة، التي منحها الاسلام لحمايتها من الموت والهلاك، فقد اوجب الاسلام على الامة توفير الغذاء والشراب والمأوى لهذه الحيوانات، المملوكة منها وغير المملوكة على السواء، فقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾ . فأوجب على صاحبها نفقتها ان كانت مملوكة له ، وعلى الدولة في حال عجزه عن توفير الغذاء لها ، فلا حرج من الانفاق عليها حينئذ وان لم تكن مملوكة^(٧)، لذا يعد احيائها من الهلاك والموت المحقق سبباً للمغفرة ونيل الثواب ، فقد أصاب العطش كلباً حتى اشرف على الهلاك ، فحاول أحد الرجال اسعافه وإنقاذه من الموت بإمكانياته البسيطة ، فسقاه الماء حتى ارتوى، فشكر الله له سعيه وصنيعه ، وأدخله الجنة بسبب ذلك^(٨). كذلك حث الاسلام على تعاهدها بالغذاء والطعام، وعدم اهمالها وتركها عرضة للجوع والضياع ، وربما يعد التسبب في هلاكها جنابة عظيمة يعاقب عليها الاسلام، لذا لا يجوز تعذيبها بمنع الغذاء والشراب عنها، وحبسها حتى الموت، ومن أقدم على ذلك ناله العقاب، فقد عذبت امرأة هرة وحبستها حتى الموت ، فأدخلها الله النار بسببها^(٩). وربما تأتي النفقة على القطط العمياء ، التي تتخذ من دور الناس مأوى لها، ولا تستطيع مغادرتها بسبب العمى في هذا السياق ، فقد اوجب الاسلام نفقتها على صاحب الدار ما دامت على تلك الحالة^(١٠) ، مما يدل على هذه الجوانب الانسانية في الحضارة العربية الاسلامية . هذا ولم تقتصر عناية الاسلام على توفير الغذاء والشراب لها، بل جاوزته الى تأمين المسكن والمأوى لها وحمايتها من عاديات الدهر، ومما يتعلق بحق الإيواء تلك المحميات الطبيعية المعروفة بالحمى التي أنشأتها الدولة الإسلامية عبر العصور لرعاية الحيوانات وإيوائها ، فقد حمى الرسول ﷺ ومن بعده الخلفاء والأمراء العديد من هذه المحميات في المدينة المنورة، والتي يعد من ابرزها حمى النقيع، والربذة^(١١)، والخضمات، وضرية، وغرز النقيع ، والشرف^(١٢)، وفيد وغيرها ، وتتابع الخلفاء والأمراء من بعدهم في اتخاذ الحمى وتوسيعها في العصور اللاحقة لهم، حتى كثرت وعمت انحاء البلاد الاسلامية^(١٣) وبهذا حرص الاسلام على مراعاة حقوق الحيوانات في الغذاء والشراب والمأوى، وسعى الى توفيرها لها حفاظاً منه على حياتها من الضياع والهلاك منذ القدم .

ثالثا : حق المداواة

لما كانت الحيوانات تمرض كما يمرض الانسان ، لذا فقد حرص الاسلام على رعايتها ، ومداواة اسقامها، ومعالجة امراضها، وحمايتها من العلل والعدوى التي تقتك بها، وعمل جاهداً على راحتها ورفع معاناتها وتسكين الأمها، وإعادة الصحة والعافية لأبدانها ، فمنحها بذلك حق الرعاية الصحية ، وربما جسد الرسول ﷺ نفسه هذه المعاني السامية في جانب الرحمة بالحيوانات ، فقد كان يقوم بنفسه على تمييز ديك مريض له، وكان يسمح لجواده بكم قميصه، لذا لم تكن هذه الرعاية وليدة الصدقة او وافدة من خارج تعاليمه ، بل هي نابعة من صميم تعاليمه القولية والعملية ، والتي نص فيها على عدم الضرر، فقال ﷺ : " لا ضرر ولا ضرار"^(١٤)، لذا حرم كل سبل العدوى الناقلة للإمراض بين الاصحاء والمرضى حفاظاً على صحتها^(١٥)، والى هذا المعنى اشار الرسول ﷺ، فقال: "لا يوردن ممرض على مصح"^(١٦). والممرض الذي اصاب ماشيته مريض؛ والمصح الذي اصاب ماشيته عاهة ثم برئت منها^(١٧)، وربما كان الجرب من ابرز الامراض الفتاكة المعدية ، التي كانت تصيب الابل عند العرب ، وكانوا يسمونه العُرّ ، ويعالجونه بطرق بدائية تشوبها الممارسات الخرافية^(١٨)؛ لذا حاول الاسلام السيطرة على هذا المرض ، ومنعه من الانتشار فنهى عن الاختلاط ، الذي هو مظنة العدوى^(١٩). كما حرم الاسلام ايذاء هذه الحيوانات بحال من الاحوال، وربما اكد الرسول ﷺ هذا المعنى، فقد مر ذات يوم على حمار قد ضرب وجهه ووسم عليه، فقال: " لعن الله الذي وسمه"^(٢٠)، وربما ادرك المسلمون كوامن الرحمة والشفقة تجاه الحيوانات في الاسلام، فاخذوا يترجمونها في واقعهم وحياتهم، ومن جميل ما اوردوه في الحفاظ

على صحتها ما قرره العلماء من أحكام في مسائل الغضب، إذ يلزم الغاصب أن يرد ما غصبه إلا أن يكون في ذلك ضرر، لذا عدّ الفقهاء من أنواع الأضرار ما إذا كان من المغصوب خيطاً، قد استعمل في خياطة جرح الحيوان، فحينئذ قرروا أنه: "لا يردُّ الخيط الذي يخاط به جرح الحيوان؛ لأنه لا يحتمل النقص وله حرمة"^(٢١). وهكذا ترى مجرد التفصيل الذي يصل هذا الحد من الجزئيات؛ فيه دليل واضح، وبرهان جلي على كوامن الرحمة والشفقة والرفق واللين التي تمتع بها هذا الدين في تعامله مع هذه الحيوانات منذ القدم. هذا وربما ابعث الإسلام النجعة في عنايته بالحيوانات، فحرص في المحافظة على أنواعها وجنسها وجودة سلالاتها، فنهى عن تهجينها، فقد اهديت للرسول ﷺ بغلة فركبها، فقيل له: لو حملنا الحمير على الخيل، فكانت لنا مثل هذه، فقال الرسول: "إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون"^(٢٢). كذلك عمل الإسلام جاهداً في رعاية الجوانب التي تحافظ على صحتها، فحرم تكليفها بما يشق عليها، وتحميلها اعباءً تفوق طاقتها وقدرتها البدنية^(٢٣)، والتي ستؤدي حتماً الى عطبها وهلاكها. كما جسد الرسول ﷺ الجوانب الانسانية في الاحسان اليها قولاً وعملاً، فقد "مرَّ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ يُؤْفُونَ عَلَى نَوَابٍ لَهُمْ وَرَوَاجِلَ، فَقَالَ لَهُمْ: "لَا تَتَّخِذُوا كِرَاسِيَّ لِأَخَادِيَّتِكُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَالْأَسْوَاقِ"^(٢٤). كما حثهم على توسيط الاحمال على ظهورها وتأخيرها عن صدورها، لان في تقديمها اضرار ببديها، وفي تأخيرها اضرار برجلها، فقال ﷺ: "إذا حملتم فأخروا فإنَّ الرِّجْلَ مُوثِقَةٌ واليَدُ مُعَلَّقَةٌ"^(٢٥). كما وعى المسلمون هذه التوجيهات النبوية في الاحسان الى الحيوانات، وجعلوها نصب اعينهم خلال التعامل معها، وانك لتعجب من مبالغتهم بهذه العناية والرعاية، حتى عدوا الاحسان الى البهائم والطيور أصلاً من اصول الدين^(٢٦).

المبحث الثاني: حدائق الحيوانات في الدولة الاموية والعباسية (٤٠٦ - ٤٧٦هـ).

استطاع الإسلام خلال فترة وجيزة من فتح العديد من بلدان العالم المترامية الأطراف في المشرق والمغرب، وضمها الى سلطانه، وتوحيدها تحت رايته، فازدهرت بذلك الحركة الثقافية والعمرانية، مما اسهم في انتشار المؤسسات الخدمية والترفيهية، وربما يعد عصر الدولة الاموية والعباسية من ابرز العصور التي شهدت رخاء اقتصاديا، وتطورا ملموسا في الحياة العمرانية، ولعل حدائق الحيوانات كان لها النصيب الاوفر من هذه الرعاية عندهم خلال تلك الفترة، ولأجل الوقوف على هذه الرعاية والاهتمام الكبيرين بحدائق الحيوانات وهندستها وتطورها، فإننا سنتناولها وفقا لما يأتي:

أولاً: حدائق الحيوانات في الدولة الاموية (٤٠ - ١٣٢هـ)

لم تكن فكرة ابتداء هندسة حدائق الحيوانات فكرة اجنبية وافدة على الحضارة العربية الاسلامية، بل هي عريية الأصل وإسلامية المنشأ والجنور، ونابعة من صميم افكارهم، والتي يعدون رعايتها والرفق بها مطلب اسلامي أصيل، دعاهم اليه الرسول الأكرم ﷺ منذ القدم^(٢٧). لذا فقد اهتمت الحضارة العربية الاسلامية بالجوانب الإنسانية لاسيما عالم الحيوانات، التي حرصت على رعايتها، وكفلت لها بيئة صالحة، ووفرت لها ملاذاً آمناً، ورفدتها بكل مقومات بقائها واستمرارها، وربما تعد معارض الوحوش في قصر الزيتونة المعروف بالحير في دمشق، والتي لها تاريخ طويل في العالم القديم، هي السلف السابق لحدائق الحيوانات، التي ابتكرها العرب المسلمون في عهد الدولة الاموية^(٢٨). ثم ما لبثت ان تطورت وازدهرت هذه الحدائق في العصور اللاحقة، وربما ساهمت عدة عوامل في ابتكارها وانتشارها في تلك العصور الاسلامية الزاهرة، ولعل الرخاء الاقتصادي للدولة الأموية، والتلاقح الثقافي بينها وبين الحضارات المجاورة لها، أدى الى ثورة حضارية ثقافية كبرى، نتج عنها حركة عمرانية هائلة، زحرت بالمباني العمرانية، ذات الفنون الجمالية الرائعة، والتي ضمت بين جوانبها العديد من المباني الخدمية، التي تحقق لهم الراحة والرفاهية، والتي كانت حدائق الحيوانات من ابرزها^(٢٩)، وربما يعد الحير الشرقي والغربي، اللذان شيئا في رصافة دمشق في القرن الاول من ابرز هذه القصور الاموية التي حوت حدائق للحيوانات في الشام على عهد الخليفة الاموي هشام بن عبدالملك^(٣٠)، الذي كان مولعا في تعمير الاراضي وحيارة الخيول ورعايتها، فقد اقام ذات مرة حلبة، فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس، ولم يعرف ذلك لأحد من الناس لا في جاهلية ولا إسلام، وربما وصف الشعراء هذه الحلبة، ونكروا ما اجتمع له فيها من الخيل في اشعارهم ودواوينهم^(٣١)؛ مما يدل على ان العرب المسلمين هم الذين ابتكروا حدائق الحيوانات في العصر الأموي، حيث اهتم الأمويون بحماية الحيوانات بكافة أنواعها؛ وأنشئوا لها الاماكن المتسعة، والمواضع المحصنة، التي تستعمل كحظائر وحمى تجتمع فيها هذه الحيوانات^(٣٢)؛ حيث استطاع الاميون استخدام كهدية لها تحشر فيه، وبهذا لم تكن فكرة انشاء حدائق الحيوانات فكرة أجنبية أو مستوردة؛ بل هي عريية المنشأ، تمكّن منشئوها من حصر الحيوانات داخل هذه الحدائق، التي تحور وتُحار وتحبس فيها، كما يحار الماء اذا اجتمع ودار ورجع من اقصاه الى ادناه؛ مما اكسب الحير مسماه^(٣٣). والى هذه المعاني اشار الشاعر ابو بكر الصنوبري (ت ٣٣٤هـ) حير الوحوش في احدى قصائده، فقال^(٣٤):

هذا ولم تكن قصور الامويين في بلاد الشام وحدها هي التي ضمت هذه الحدائق ، بل تمتعت بها معظم ربوع المدن الاندلسية الكبرى، كمدينة قرطبة والزهراء، فقد اتخذ الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر (٢٢٧ - ٣٥٥هـ) الى جانب قصره حديقة للحيوانات، وكانت هذه الحديقة فسحة الفناء ، متباعدة البناء ، ضمت الطيور الغريبة المستوردة، المظلة بالشباك، والأسود الآسيوية والإفريقية، والحيوانات النادرة كالظباء ، والزرافات، والفيلة، والحمر الوحشية، والنعام، وكثيرا ما كان يفاجأ أهالي قرطبة بوحدة من هذه القوافل، التي تحمل الحيوانات العجيبة ، والتي كانت تمر في شوارعهم ، وهي متجهة في طريقها الى حديقة القصر (٣٥).

ثانيا : حدائق الحيوانات في الدولة العباسية (١٣٢ - ٦٥٦هـ)

اثر سقوط الدولة العربية الاموية في دمشق قامت في بغداد الدولة العباسية على انقاضها ، وفرضت سيطرتها ونفوذها على العالم الاسلامي ما يقرب من خمسة قرون متتالية ، شهدت خلالها تطورات عمرانية وثقافية كبيرة ، وربما نالت حدائق الحيوانات فيها النصيب الاوفر من هذه الثورة العمرانية ، فقد حرص العباسيون على أقامت حدائق الحيوان في وقت مبكر من تاريخ دولتهم ، وربما انتشرت ببغداد وسائر البلاد الاسلامية جنائن وحدائق كانت نموذجا لأرقى ما وصل اليه فن تنظيم الحدائق (٣٦) ، وربما تولع خلفاء بني العباس في حيازة الحيوانات الاليفة والوحشية ورعايتها وضمها الى قصورهم ، فقد عني المنصور بجمع الفيلة واتخذها في قصوره للزينة والتسلية (٣٧) ، كما كان للخليفة الأمين قصر الحير ببغداد ، وله مجلس للغناء تجتمع فيه الحاشية ، فتنوا هذه الحيوانات منهم وتستمع للغناء ، حتى تقترب من مجلس الخليفة (٣٨) ، كما أمر الولاة في كافة البلاد الاسلامية بجلب الحيوانات الوحشية من السباع والطيور له الى بغداد ، وكان له مجموعة من الصيادين المهرة ، الذين يركبون البغال ، ويصطادون له الأسود ، ويضعونها في أقفاص، ثم ينقلونها إلى قصره (٣٩) ، كما اتخذ الخليفة المأمون حير الوحوش ببغداد ، وجعله متصلا بالميدان وقصر الثريا، الذي بناه المعتضد على نهر عيسى ببغداد ، كما زاد من بهجة القصر الحسني عندما نزل فيه ، وذلك بإضافته لميدان واسع للكرة والصولجان ، كما أضاف اليه حير الوحوش ، ومد إليه فرعا من نهر المعلى (٤٠). وعندما آلت الخلافة العباسية الى المعتصم بالله نقل عاصمة الخلافة من بغداد الى سامراء ، فشهدت سامراء حركة عمرانية متسارعة ، وربما يعد حير الوحوش المعروف بالجوسق ، واحدا من ابرز هذه المعالم الحضارية، التي امر ببنائها في هذه المدينة (٤١)، فقد ضمت هذه الحديقة اصنافا عديدة من الحيوانات الاليفة والوحشية، التي كانت تصاد للمعتصم والواثق، وتودع فيها وتسانس بالناس، كالفهود والسباع والظباء والنعام وغيرها (٤٢) ، وقام المتوكل بعد ذلك ببناء قصر الخليفة الذي انفق عليه مبالغ طائلة وضم البركة الحسنة ؛ ثم قام بتطوير الحير، المتصل بقصر الخليفة حتى سميت بحير الوحش ، وكانت مسورة بجدار من الطين لمسافات أبعد من الحديقة، كما كان يقربها قصرًا جميلاً لنزهة الخليفة ووزرائه وقادته وأمراه وأسرتة، وضمت أعداداً كبيرة من الظباء والأيائل والأسود والطيور والنعام، وزرعت بالأشجار والمغروسات ، وحفر في وسطها بركة ماء، كما تم حفر نهر النيزك لسحب المياه باتجاه حير الوحوش (٤٣) ، وقد اشار الشاعر البحري الى هذا القصر والحير، فقال (٤٤):

ولم أنس وحش القصر إذ ربح سره * وإذ ذعرت أطلاؤه وجأزه

كما حاول الخليفة المقتدر تطوير حير الوحوش وجعله متصلاً بقصره ، وأودع فيه العديد من أصناف الوحش، التي كانت تقترب من الناس، وتشمهم وتأكل من أيديهم، كما اتخذ الدور الخاصة بالحيوانات الوحشية كالفيلة والسباع، وزينها بالديباج والوشي، وقد ضمت هذه الدور تضم اربعة فيلة ومائة سبع (٤٥)، وحينما ثار الجند ببغداد على عهد الواثق عام (٣١٥هـ) هجموا على قصر الثريا والحير، وقتلوا جميع الحيوانات التي كانت في الحائر وما حوله (٤٦)، كما كان للخليفة المعتز حديقة للحيوانات جمع فيها شتى انواع السباع ، وربما شوهد فيها الاسد والفيل يتواثبان (٤٧)، ومن حدائق الحيوان المشهورة أيضاً بستان ابن بسام ، الذي ضم حيراً للغزلان، وحضيرة للقماري وأشباهاها (٤٨)، وأما من أقام حيراً للوحش من غير الخلفاء، فقد انشأ الوزير ابن مقله حديقة كبيرة ضمت العديد من الطيور والظباء الطريفة، كالبلابل، والطواويس، والقماري، فضلا عن الغزلان، والحمر الوحشية ، والنعام ، والأيل الكثير (٤٩). كما اتخذ الامير ابن طولون (٢٥٠ - ٢٨٢هـ) في قصره بمصر حديقة للحيوانات العجيبة ، التي ضمت مختلف انواع الطيور والحيوانات الوحشية والأليفة ، ووفر لها مختلف انواع الرعاية والخدمات ، ورتب لها الموظفون الذين يقومون بخدمتها ورعايتها (٥٠).

البحث الثالث: حدائق الحيوانات خلال الفترة (٦٥٦ - ٤٨٠هـ)

واجهت البلاد الاسلامية إثر سقوط الدولة العباسية عام (٦٥٦هـ) هجمة شرسة , عصفت بكافة المؤسسات الادارية والثقافية والعمرانية للدولة العربية الاسلامية^(١) وبالرغم من ذلك فقد سار سلاطين الدولتين الايوبية والمماليك على نفس النهج الاسلامي, الذي سار عليه الامويون والعباسيون بشأن الرفق بالحيوانات ورعايتها حيث خصصت لها فضلاً عن حدايق الحيوانات منشآت معمارية خدمية مستقلة لرعايتها , وربما تنوعت الخدمات التي تقدمها هذه المنشآت المعمارية للحيوانات بكافة صنوفها وأنواعها, وقد تماهت ما بين توفير الغذاء والماء والمأوى, فقد اوقف الملك العادل نور الدين زنكي (٥١١ - ٥٦٩هـ) ارض مرج السلطان الواقعة في دمشق للحيوانات الشاردة^(٢), كما أقام في قلعة حلب ميدانا رحباً غطاه بالحشيش حتى سمي بالميدان الأخضر^(٣). كما كان للقطط في الدولة الاسلامية نصيب وافر من هذه الاوقاف التي تعرف (بأوقاف القطط) حيث كانت تقدم لها فيها دوما الطعام والشراب في الصباح والمساء , كما أقام المسلمون في معظم البلاد الاسلامية عمائر ضمت أحواض الماء الكبيرة لسقيها , وقد توزعت هذه العمائر داخل المدن وخارجها , وانتشرت على جوانب الطرقات العامة للقوافل والحجيج, وشهدت تطوراً كبيراً في العصور اللاحقة, واتخذت مواضع منفصلة ومميزة الواجهة, ليسهل وصول الحيوانات اليها وتزودها بالماء, وربما غطيت معظم هذه الأحواض بأسقف خشبية وأقبية, او قباب حجرية, وكانت هذه الاحواض تستمد ماءها العذب داخل المدن من الانهار, او من السواقي الموضوعة على الآبار اذا كانت في الخارج^(٤). كما ضمت هذه العمائر اماكن لحماية الحيوانات من المخاطر ووقايتها من تقلبات الحرارة والبرودة, لاسيما الابل والخيول والبغال والحمير , وربما يعد قصر الحير الغربي وعمرة من ابرز هذه العمائر الاسلامية, التي ضمت مثل هذه الخدمات في بلاد الشام خلال العصر الاموي (٦١ - ١٣٢هـ)^(٥), لقد تطورت هذه العمائر في العصور الاسلامية اللاحقة, حتى غدت جزءاً لا يتجزأ من قصور الخلفاء والسلاطين والأمراء العباسيين, لاسيما في عهد الخليفة المقتدر (٢٨٢ - ٣٢٠هـ) ومعز الدولة (٣٥٠هـ)^(٦), وربما بلغت العناية بهذه العمائر قمة تطورها في العصر الفاطمي والمملوكي (٦٥٨ - ٩٢٢هـ) حيث توسع مفهومها عند السلاطين, واتخذوها سمة مميزة لملكهم , وربما اشتهر منها الاسطبلات السلطانية المخصصة للسلاطين, والاصطبلات السعيدة المخصصة للأمراء^(٧), حتى اصبحت هذه العمائر من ضرورات السلطنة وملحقات قصورهم ومبانيهم, لذا رصدت لها الاموال الطائلة, وصرفت عليها المبالغ السنية, وأفردت لها الدواوين الخاصة بها, ورتب لها الموظفون القائمون على رعايتها في ذلك العصر^(٨); مما يدل دلالة قاطعة على الاهتمام الكبير والرعاية البالغة , التي حضيت بها هذه الحيوانات العجماء في ظل هذه الحضارة العربية الاسلامية منذ القدم.

الذاتة

لقد خلصت هذه الدراسة الى بعض النتائج التي يمكن اجمالها بما يأتي :

- تعد هذه الحضارة سبابة في رعاية الحيوانات والحفاظ عليها من الهلاك والضياع , لأجل ذلك منحها كافة الحقوق المشروعة لها في الحياة والغذاء والدواء والراحة والإيواء منذ القدم.
- يزخر الموروث الاسلامي بالنصوص والتوجيهات التي تنص على معاملة الحيوانات بالرفق واللين والرحمة والإحسان وتندر المخالفين المتسببين في اذيتها بالعذاب والعقاب الدنيوي والأخروي .
- يعد ابتكار حدايق الحيوانات انجازاً حضارياً عظيماً , يدل على قوة الدولة ورفاهيتها , وتقدم اساليب الهندسة والعمارة فيها , كما يعكس الجوانب الانسانية في فن تعاملها مع هذه الحيوانات العجماء .
- لم تكن فكرة ابتكار حدايق الحيوانات فكرة اجنبية وافدة , بل هي عربية اسلامية نابعة من صميم الروح الانسانية التي طغت على افكارهم, فرعايتها مطلب اسلامي اصيل دعاهم اليه الرسول الاكرم ﷺ منذ القدم .
- لم يكن الشعور المتناهي في الرقة والرحمة والاهتمام بحياة الحيوان في الاسلام نابع من دوافع مادية نفعية بحتة , بل كان الدافع اخلاقي محض, غايته رفع الظلم والضرر والأذى عن كائن حي ذي كبد رطبة , يشعر بالألم ويحس به , فيتألم ولا يكاد يتكلم , مما يبرز عظمة وعدالة الاسلام , واتساع دائرة الإحسان والرحمة والمسؤولية في دستوره تجاهها منذ القدم.

الهوامش والمصادر

(١) القرطبي , محمد بن احمد (ت ٦٧١هـ) , الجامع لاحكام القرآن - تفسير القرطبي , تح : احمد البردوني وابراهيم اطفيش (ط ٢) - دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٦٤م) : ٣٤/٩ .

(٢) سورة هود / الآية ٤٠ .

- (٣) مسلم , مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبدالباقي (دار احياء التراث العربي - بيروت - ١٩٨٥م): ١٥٥٠/٣.
- (٤) الماوردي , علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ) الحاوي الكبير، تح : علي محمد معوض , وعادل احمد عبدالموجود (دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٩م) : ٤٠٧/٦.
- (٥) السبكي , تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ) معيد النعم ومبيد النقم (مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ١٩٨٦م): ص ١٠٠ .
- (٦) الكتاني , محمد عبدالحى بن عبد الكبير (ت ١٣٨٢هـ) الترتيب الادارية , تح:عبدالله الخالدي(ط٢ - دار الارقم - بيروت - ١٩٨٢م): ١٠٠/٢.
- (٧) الخطيب الشربيني , محمد بن احمد ت(٩٧٧هـ) مغني المحتاج الى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٤م): ٤٨٧/٣ وما بعدها ؛ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية , الموسوعة الفقهية الكويتية (ط٢ - دار السلاسل - الكويت - ١٤٢٧هـ) : ١١٩/٥ - ١٢٠.
- (٨) مسلم , المصدر السابق : ١٧٦١/٤.
- (٩) البخاري , محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) صحيح البخاري , تح: محمد زهير ناصر(دار طوق النجاة - بيروت - ١٤٢٢هـ) : ١١٢/٣.
- (١٠) الدسوقي , محمد بن احمد (ت ١٢٣٠هـ) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير , تح : محمد عيش (ط٢ - دار الفكر - بيروت - ٢٠١١م) : ٥٢٢/٢ .
- (١١) ابن سلام , ابو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ) كتاب الاموال , تح : محمد خليل هراس (دار الفكر - بيروت - ١٩٨٦م): ص ٣٧٥؛ ابن شبة , عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ) تاريخ المدينة , تح : فهم محمد شلتوت (دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٣٩هـ): ١٥٥/١.
- (١٢) ابن زنجويه,حميد بن مخلد(ت ٢٥١هـ) الاموال , تح : شاكر ذيب فياض(مركز الملك فيصل للبحوث - الرياض - ١٩٨٦م): ٦٦٦/٢ وما بعدها؛ البكري , عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (ط٣ - عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣هـ): ١٣٢٤/٤؛ السمهودي,علي بن عبدالله(ت ٩١١هـ)وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى(دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ) : ٢٢١/٣ - ٢٢٢.
- (١٣) السمهودي , المصدر السابق: ٢٣١/٣ وما بعدها .
- (١٤) البيهقي,احمد بن الحسين(ت ٤٥٨هـ)السنن الكبرى, تح: عبدالله عبدالمحسن التركي (مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية - بيروت - ٢٠١١م): ٥٤٢/١١.
- (١٥) النووي, يحيى بن شرف(ت ٦٧٦هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ط٢ - دار احياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢هـ): ٢١٤/١٤.
- (١٦) البخاري , المصدر السابق : ١٣٨/٧.
- (١٧) ابن حجر العسقلاني , احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) فتح الباري،تح:محمد فؤاد عبدالباقي(دار المعرفة - بيروت - ١٣٧٩هـ): ٢٤٢/١٠.
- (١٨) الآبي, منصور بن الحسين(ت ٤٢١هـ) نثر الدرر في المحاضرات،تح:خالد عبدالغني محفوظ(دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٤م): ٤٢٣/٦ - ٤٢٤ .
- (١٩) الدميري , محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ) حياة الحيوان الكبرى (ط٢ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٤هـ) : ٢٩١/٢ - ٢٩٢.
- (٢٠) مسلم , صحيح مسلم : ١٦٧٣/٣.
- (٢١) القرافي , احمد بن ادريس (ت ٦٨٤هـ) الذخيرة، تح: محمد حجي وآخرون(دار الغرب الاسلامي - بيروت - ١٩٩٤م): ٣٢٧/٨.
- (٢٢) ابو داود , سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥هـ) سنن ابي داود , تح : شعيب الارناؤط وآخرون (دار الرسالة العلمية - بيروت - ٢٠٠٩م) : ٢١٢/٤.
- (٢٣) الكتاني , الترتيب الادارية : ٩٩/٢.
- (٢٤) ابن حنبل , ابو عبدالله احمد (ت ٢٤١هـ) مسند الامام احمد بن حنبل , تح : شعيب الارناؤط وآخرون (مؤسسة الرسالة - بيروت - ٢٠٠١م): ٣٩٢/٢٤.

- (٢٥) الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) علل الترمذي الكبير، تح: صبحي السامرائي وآخرون (عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٩هـ): ص ٣٧٩.
- (٢٦) ابن العربي، محمد بن عبدالله (ت ٥٤٣هـ) احكام القرآن، تح: محمد عبدالقادر عطا (ط ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٣م): ١٥٤/٣.
- (٢٧) مسلم، المصدر السابق: ١٧٦١/٤.
- (٢٨) الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ) معجم البلدان (ط ٢ - دار صادر - بيروت - ١٩٩٥م): ٤٧/٣؛ الحمصي، احمد فائز، وآخرون، روائع من العمارة الاسلامية في سورية (وزارة الاوقاف في الجمهورية العربية السورية - دمشق - ١٩٨٢م): ص ١٠٢.
- (٢٩) القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ) مآثر الانافة في معالم الخلافة، تح: عبدالستار احمد فراج (ط ٢ - مطبعة حكومة الكويت - ١٩٨٥م): ١٥٠/١؛ نصر، ميرنا، السمة التناسيبية في تصميم قصر الحير الغربي وبواباته (مجلة جامعة طرطوس - سلسلة العلوم الهندسية - مج ٢ - ع ٢) - سوريا - ٢٠١٨م): ص ٢٠ - ٢١.
- (٣٠) السيد، عبدالعزيز، المعالم الاثرية في البلاد العربية (مطبعة مذكور - القاهرة - ١٩٧٢م): ص ٣١٠ - ٣١٦؛ الخالدي، احمد أرشيد، المدن والآثار الاسلامية في العالم (دار المعتز - عمان - ٢٠٠٩م): ص ١٦٧ - ١٦٨.
- (٣١) المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: اسعد داغر (دار الهجرة - قم - ١٤٠٩هـ): ٢٠٥/٣.
- (٣٢) الحموي، المصدر السابق: ٣٢٧/٢؛ الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين (دار الهداية - القاهرة - ١٩٨٥م): ١١٦/١١، ١٢٢.
- (٣٣) الحموي، معجم البلدان: ٢٠٨/٢؛ الزبيدي، المصدر السابق: ١٢٢/١١؛
- (٣٤) ابو بكر الصنوبري، احمد بن محمد (ت ٣٣٤هـ) الديوان، تح: احسان عباس (دار صادر - بيروت - ١٩٩٨م): ص ٥٤.
- (٣٥) المقري، احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس (دار صادر - بيروت - ١٩٦٨م): ٥٧٨/١؛ النعمان، محمد هشام، قصور وحدائق الاندلس العربية الاسلامية (دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠١٧م): ص ١٧٧.
- (٣٦) الخالدي، المرجع السابق: ص ١١٠.
- (٣٧) المسعودي، المصدر السابق: ٤٣١/١.
- (٣٨) الاصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) الأغاني (دار احياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٥هـ): ٣١٧/١٠ - ٣١٨.
- (٣٩) الخالدي، المرجع السابق: ص ١١٠.
- (٤٠) الخطيب، محب الدين، الحديقة مجموعة ادب بارع وحكمة بليغة، اعتنى به: سليمان صالح الخراشي (ط ٢ - المكتبة السلفية - القاهرة - ٢٠١١م): ٢٩٣/١؛ الخالدي، المرجع السابق: ص ١٠٩.
- (٤١) اليعقوبي، احمد بن واضح (ت ٢٩٢هـ) البلدان (دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٢هـ): ص ٦٦؛ الحموي، المشترك وضعاً المفترق صنعا (ط ٢ - عالم الكتب - بيروت - ١٩٨٦م): ص ١١٢.
- (٤٢) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) الحيوان، تح: عبدالسلام محمد هارون (دار الجيل - بيروت - ١٩٩٦م): ٤٢٢/٤.
- (٤٣) اليعقوبي، المصدر السابق: ص ٦٣؛ الحموي، معجم البلدان: ٣٢٨/٢؛ الحبيطي، ساهرة محمود، وصف قصور الخليفة المتوكل على الله في شعر البحري أنماطه وخصائصه (مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية - جامعة الموصل - مج ٢ - ع ٢ - ٢٠٠٥م): ص ١٦٣ - ١٦٤؛ السامرائي، مجيد ملوك، سر من رأى العاصمة العربية الإسلامية (دار دروب للنشر - عمان - الأردن - د/ت): ص ٧٩، ٨٢.
- (٤٤) البحري، محمد بن احمد، الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي (ط ٣ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٣م): ١٠٤٦/٤.
- (٤٥) الخطيب البغدادي، احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبدالقادر (دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ): ١١٨/١.
- (٤٦) مسكويه، احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ) تجارب الامم وتعاقب الهمم، تح: ابو القاسم امامي (ط ٢ - سروش - طهران - ٢٠٠٠م): ٢٣٠/٥.
- (٤٧) الشابشتي، الحسن بن محمد (ت ٣٨٨هـ) الديارات، تح: كوركيس عواد (ط ٣ - دار المدى للطباعة - بيروت - ٢٠٠٨م): ص ١٥١.
- (٤٨) المسعودي، مروج الذهب: ٢١٢/٤.
- (٤٩) الخالدي، المدن والآثار الاسلامية في العالم: ص ١١٠.
- (٥٠) المقرئ، احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨هـ): ١٢٤/٢ - ١٢٦؛ ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (دار الكتب - القاهرة - د/ت): ٥٨/٣.

- (٥١) القلقشندي, صبح الاعشى في صناعة الانشا(دار الكتب العلمية - بيروت - د/ت) : ٥٣٧/١ ؛ ابن تغري بردي , المصدر السابق : ٤٧/٧ .
- (٥٢) ياغي, غزوان مصطفى, منشآت رعاية الحيوان في العمارة الاسلامية(مجلة المعرفة - ع(٥٨٦) - دمشق - ٢٠١٢م): ص ١٩٨ .
- (٥٣) ابن كثير, اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية, تح: عبدالله عبدالمحسن التركي(دار هجر للطباعة - بيروت - ١٩٩٧م) : ١٧ / ٥١؛ الصلابي, علي محمد , القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي - شخصيته وعصره (مؤسسة إقرأ - القاهرة - ٢٠٠٧م): ص ٣٢ .
- (٥٤) ياغي , المرجع السابق : ص ١٩٨ - ٢٠٠ .
- (٥٥) المرجع نفسه : ص ٢٠١ .
- (٥٦) سبط ابن الجوزي, يوسف بن قزؤغلي(ت ٦٥٤هـ) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان, تح: محمد بركات وآخرون(دار الرسالة العالمية - دمشق - ٢٠١٣م) : ٣٤ / ١٧ , ٣٢٩ .
- (٥٧) القلقشندي صبح الاعشى: ٣٢/٤ , ١١ / ١٧٠ - ١٧١؛ المقرئزي , السلوك لمعرفة دول الملوك: ٣/٣٥١ .
- (٥٨) القلقشندي, صبح الاعشى : ٣/٥٤٨ ؛ المقرئزي, تعاض الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الحنفاء, تح : جمال الدين الشيال وآخرون(لجنة احياء التراث الاسلامي - القاهرة - ١٩٦٧م): ٣/٣٤٢ ؛ ابن تغري بردي , المصدر السابق: ٤/٨٢ .